ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:10، العدد: 01(2025) ص: 255 - 266

الانتحال في الشعر العربي القديم

Ancient arabic poetry and plagiarism

معمري عبد الكريم*

جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)

abdelkrim.mammeri@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2025/03/28

تاريخ القبول: 2025/05/17

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **الانتحال**
- ✓ **الشعر العربي القديم**

تناولت الدراسةُ تدوين الشعر العربي القديم وقضية الانتحال في هذا الشعر واقتصرتُ على رجلين من رجالات الدّين والأدب هما ابن هشام صاحب السيرة وابن سلاّم صاحب الطبقات.

غير ان العرب أول ما بدأوا التدوين قد عرضوا للحديث الشّريف يدوّنونه، غير أنهم بداية من القرن الثاني للهجرة شرعوا يدوّنون الأشعار ضمن مُصنّفات وكتبٍ تحفظ شعر القوم ولغتهم خدمةً لعلوم القرآن في أول الأمر، ثمّ صار بعد ذلك خدمة للغة العربية في علومها المختلفة.

Article info

Received *28/03/2025*

Accepted *17/05/2025*

Keywords:
- ✓ *plagiarism*
- ✓ *Ancient arabic poetry*

Abstract :

The study addressed the recording of ancient Arabic poetry and the issue of plagiarism in this poetry. I limited myself to two men of religion and literature: IbnHisham, author of the biography, and ibnSallam, author of the book "Al-Tabaqat." However, when the Arabs first began recording poetry, they presented the hadith sharifand recorded them. Beginning in the second century AH, they began recording poetry in the form of books that preserved the people's poetry and language, initially serving the sciences of the Qur'an. Later, this practice served the Arabic language in its various sciences.

[1] معمري عبد الكريم

1.مقدمة

لم يكن الشكّ في نصوص وآثار الأدب الجاهلي موقوفا على المحدَثين من المستشرقين والعرب، بل سبقهم إلى ذلك عددٌ من النُّقاد القدامى كابن سلاّم الجمحي وابن هشام وعلماء المدارس اللغوية كالبصرة والكوفة من أمثال الأصمعي وأبي عبيدة. غير أنّ هناك سؤالا يطرح نفسه بإلحاح شديد وهو ما الشيء الذي جعل العلماء يشكون في النصوص الشعرية؟ وإن كان جواب هذا السؤال إنما يرجع لأسباب عديدة إلاّ أنّ هذا السؤال نفسَه يستدعي قبله سؤالا آخر، وهو كيف وصلت إلينا هذه النصوص؟ وما هي طرائق تبليغها وإشاعتها بين الناس ؟.

2.تدوين الشعر العربي القديم:

لقد يكون من المجازفة أصلا أن نقول إنّ العرب قد عرفوا تدوين أشعارهم في الجاهلية، بالرغم مما ذكروه في شعرهم من أدوات الكتابة والتدوين ومعرفة بعض الشعراء للكتابة، ولكننا نستطيع القول إنهم يقيّدون بعض مواثيقهم ومحالفاتهم وعهودهم وأشعارهم، ونجد من النّقاد من نفى كتابة الشعر وتعليقه على الكعبة (ضيف، 1995، ص:158) ورفض رواية حماد الذي يذكر أنّ النعمان بن المنذر أمر بتدوين أشعار العرب وما مُدح به هو وأهله(الحموي،د.ت،(4 مج)ص:354) وقد قال ابن سلام: " وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوانٌ فيه أشعار الفحول، وما مُدح به هو وأهل بيته، فصار ذلك إلى بني مروان " (ابن سلام،د.ت،(1 مج)ص:25).

وجاء عن ابن النديم أنّ الخطاط خالدا بن أبي الهياج تولّى كتابة المصاحف والشعر والأخبار للخليفة الوليد بن عبد الملك، كما أمر الخليفةُ الوليد بن يزيد بجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها (ابن النديم، 1978، ص: 09).

غير أن التدوين شمل أول ما شمل الحديثَ الشريف، وذلك بعد أن أسرع الموتُ إلى حافظيه وحامليه، وتسرّب إليه الوضعُ والخلق والكذب. كالأحاديث التي كان يرويها بُرْدٌ مولى سعيد بن المسيّب، وعكرمة مولى ابن عباس. ومن هذا اجتهد بعضُ الصحابة كعبد الله بن عمر وغيره في تقييد بعض الحديث، حتى كان عمرُ بن عبد العزيز فأمر محمّدا بنَ مسلم الزّهريَّ بتدوين الحديث، فدوّنه مُراعيا في ذلك شروطَ الرواية الصحيحة.ثم تبع ذلك التّفسيرُ، حيث كان ابنُ عباس مفسّرا، وله كتابٌ فيه رواه عنه مجاهد وعكرمة. (ابن النديم، 1978، ص: 50)، وجاء بعده سعيد بن جُبَير والذي روى تفسيرَه عطاءُ بنُ دينار.

وكان المفسرون كثيرا ما يلجئون في تفسيرهم إلى الاستعانة بالمغازي والسِّيَر حين يريدون بذلك أسباب نزول آيةٍ أو أخبارا متعلّقة بها، ولكن سرعان ما انفصلت هذه الموضوعاتُ عن التفسير حيث دُوِّنت فيها كتبٌ كالتي ألّفها عروةُ بن الزبير، وابنُ شهابٍ الزّهريُّ الذي طلب منه خالد القَسريُّ أن يكتب له السّيرةَ، وكان من الطبيعي أن تتضمّن هذه الكتبُ أشعارَ القدامى وأخبارَهم، حيث يستخدمونها للاستشهاد بها حين تدفعهم الحاجة إلى ذلك.

ومضى الأمر على ما هو عليه حتى القرنِ الثاني للهجرة، حيث بدأت أولى الاهتمامات لتدوين هذه الأشعار والأخبار تدوينا يضمن لها البقاء بعد أن وعتها الحافظةُ وسارت على الشِّفاه، وكان أن تخصّص لهذا العلم علماءٌ برعوا في ذلك حدّ الإتقان والاحتراف، ومنهم أبو عمرو بن العلاء (ت- 154) الذي اعتمد على الرواية، وحرص على تقييد جانبٍ كبير من الأشعار والأخبار، قال أبو عبيدة: " وكانت كتبُه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السّقف، ثم إنه تقرَّأ (تنسّك) فأحرقها كلَّها ".(الجاحظ،د.ت، (1 مج) ص: 321) وقال عنه الأصمعي: " جلستُ إلى أبي عمرو عشرَ حِجَجٍ ما سمعته يحتجُّ ببيت إسلامي " (الجاحظ،د.ت، (1 مج) ص: 321) وهذه شهادة عالم تدلّ على ماكان يختزنه أبو عمرو في ذاكرته كثرةً وتنوّعا.

أماح مّاد الرّواية (ت: 155 هـ) فكان أوّلَ أمره مُصاحبا للّصوص والشُّطّار والصّعاليك" فنقب ليلةً على رجل فأخذ مالَه، وكان فيه جزءٌ من شعر الأنصار، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفّظه، ثم طلب الأدبَ والشّعر وأيامَ النّاس ولغات العرب بعد ذلك،وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ"(الأصفهاني،1992، (6 مج) ص: 96).

ويدل هذا الخبر أيضا على أنه كان للأنصار شعرٌ مدوَّنٌ يتناقلونه مخافة ضياعه، وقد روى لنا أبو الفرج الأصفهاني بداية تدوين شعر الأنصار حين أمر الخليفةُ عمرُ بن الخطاب بذلك بعد أن نهى الأنصارَ والمهاجرين من أن يتذاكروا أشعارَهم بداية الدعوة، وذلك دفعاً للضغائن والأحقاد. ولكنْ حدث أن تشاحن عبدُ الله بن الزِّبَعرَى وضرار بن الخطاب مع حسان بن ثابت الأنصاريّوأنشداه بعضَ ما قالاه في الجاهلية قبل الإسلام، وكان أن أخبر حسانُ عمرَ بن الخطاب بالأمر، فما كان على الخليفة إلا أن يأمر الشاعرين بالمثول أمامه، وأن يُسمِعها حسان شعرا يرد به عليهما، فلما قضي الأمر وتمَّ القصاص، قال عمر: " إني قد نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا دفعا للتضاغن عنكم، وبثِّ القبيح فيما بينكم. فأمَّا إذا أبَوا فاكتبوه واحتفظوا به، فدوّنوا ذلك عندهم. قال خلاد بن محمد: فأدركته والله، وإنّ الأنصار لَتجدِّده عندها إذا خافت بِلاه " (الأصفهاني،1992، (4 مج) ص: 148).

ومما يدل أيضا على أنّ لحمّادَ اهتماما بالكتب ما ذكره هو نفسُه حين أرسل إليه الوليد بن يزيد يطلب لقاءه، فقال: " لا يسألني إلاّ عن طرَفَيه قريش وثقيف. فنظرتُ في كتابي قريش وثقيف " (الأصفهاني،1992، (6 مج) ص: 103) وبالرغم من أنّ ابن النّديم ذكر بأنه " لم يُر لحمادٍ كتابٌ، وإنما روى عنه الناس،وصُنِّفت الكتبُ بعده "(ابن النديم،1978، ص: 134). إلا أن الدكتور ناصر الدين الأسد يتعجب من قول ابن النديم، ويذهب إلى أنّ الرجل لم يصله شيءٌ من كتب حمّاد، فألقى هذا القولَإلقاءً، خاصة وأن أبا حاتم السجستانيَّ رأى بعض كتب حماد في الشعر الجاهلي(الأسد،1969، ص: 157).

وأما أبو عمرو الشيبانيُّ (ت- 213-) فقد عُمِّر طويلا، ومات وعمره مِائة وثماني عشرة سنة، وقال عنه ابن السّكِّيت: " وكان يكتب بيده إلى أن مات، وكان ربما استعار منّي الكتابَ، وأنا إذ ذاك صبيٌّ آخذ عنه وأكتب من كتبه"(ابن النديم،1978، ص: 101).

لقد تكون هذه الأخبار المتعلقة بالعلماء الرواة الذين كتبوا الكتب وألّفوا المؤلفاتِفي الشعر العربي القديم كثيرةً لا تحصى، إذ نجدها مبثوثة في المصنَّفات العديدة التي تناولت آثار هؤلاء العلماء وسيرتهم وتعلّمهم وما أُثِر عنهم من قولٍ أو فعل أو أثر، وهي على كثرتها وتنوّعها تدلّ دلالة واضحة على تدوين الآثار الأدبية متمثّلة في الشّعر الجاهلي القديم ابتداءًمن عصر بني أميّة إلى أن زادت حدّتها في عصر بني العبّاس، أي أنّ بدايتها كانت من النّصف الثاني من القرن الثاني للهجرة إلى أن انتهى التدوين في أوائل القرن الرابع للهجرة(بلاشير،1986،(1 مج) ص: 134). دون أن نغفل عن الأسماء الكبيرة التي كان لها الدّور الفعال في نقل هذه الآثار من مثل المفضّل الضبي(ت170هـ) صاحبِ المفضّليات، وخلف الأحمر (ت 180هـ) تلميذ حمّاد الرواية، والذي قال عنه أبو زيدٍ الأنصاريُّ: " لم أرَ رجلاً أفرسَ ببيت شعرٍ من خَلَف""(ابن النديم،1978، ص: 81)، والذي كان متَّهما بالوضع والنّحل مثل أستاذه حماد، ومنهم أيضا هشام بن الكلبي (ت206هـ) والهيثم بن عدي (ت207هـ) الذي أخذ عنه صاحب الأغاني كثيرا وذكر له ابنُ النّديم كتبا كثيرة، ومنهم أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنّى(ت211هـ) والأصمعيُّ (ت 215هـ) صاحب كتاب الأصمعيات المشهور، وابن الأعرابي (ت225هـ) والذي قيل عنه بأنه:" قد أملى على الناس ما يُحمَل على أجمال،لم يُر أحدٌ في الشّعر أغزرَ منه ""(ابن النديم،1978، ص: 102). حتى أن المستشرق بلاشير يعترف بأننا مدينون له" حتى إنّه لَيصعبُ تحديدُ مقدار الدَّين تماما "(بلاشير،1986،(1 مج) ص: 134)..

وهكذا نسير في سلسلة هؤلاء العلماء إلى أن نصل إلى جمّاعٍ ذي قيمة كبيرة وهو أبو الفرج الأصفهانيُّ(ت356هـ) الذي ألّف كتابَ الأغاني، والذي يحوي مادة إخبارية وتاريخية ومختاراتٍ شعريةً تُعَدُّ جدّ هامة.

لقد ساهم هؤلاء العلماء، وغيرهم ممّن لم نذكرهم، سواءً بالإلقاء مشافهةً في المجالس، أو بالكتابة بخطِّ اليد في نقل تراث هامّ ذي مكانة رفيعة, أصبح فيما بعد يمثّل مصدرا هاما من مصادر الأدب العربي القديم, والذي حضِيَ الشّعر منه بالكمِّ الأوفر والعناية العظيمة، حيث جُمِع في كتب خاصة و قُتل درسا وتحقيقا، وشرحا وتعليقا. وسوف نأتي على ذكر هذه المصادر ذكرا موجَزا، نهدف من ورائه إلى التّذكير ليس إلاّ.

إن أوّل ما يتبادر إلى الذهن في شكل هذه المصادر هي المعلّقاتُ التي اختُلِف في عددها وفي أصحابها. وإن كانت أكثر الروايات تدل

على أنها سبعٌ : لامرئ القيس وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى ولبيد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد والحارث بن حلِزَة. وهناك من يضع مكان الأخيرين النّابغةَ الذبيانيَّ والأعشى، كما أن هناك رواياتٍ تعدّهم تسعا، ومنهم من يضيف قصيدةَ عبيد بن الأبرص إليهم .

ومن المصادر أيضا المفضليات للمفضّل الضبي، والأصمعيات للأصمعي، وجمهرةُ أشعار العرب لأبي زيد بن أبي الخطاب القُرَشي، ومختاراتُ ابن الشجري، ودواوينُ الحماسة لأبي تمام (ت231هـ) وللبحتري (ت284هـ) وللخالديْن أبي عثمانَ سعيدٍ (ت 350هـ) وأخيه أبي بكر محمد (ت 380هـ) ودواوينُ القبائل مما ذُكِر في الفهرست لابن النديم، كأشعار الأزد وهذيل وبني أسد وتغلب وبني تميم وبني عدوان وغيرهم، ودواوينُ الشعراء الذين وصل شعرُهم إلى أيدينا.

وإن كانت هذه المصادر قد وُسِمت بالتّخصّص فإنّ هناك جانبا من كتبٍ أخرى ككتب النحو واللغة والتاريخ، والسِّير والمغازي والأدب، والفقه والتفسير، قد تضمّنت بين صفحاتها عددا هائلا من أشعار العرب .

وقد كان هذا دَيْدَنُ كتب النحو واللغة حيث عملت المدارسُ النّحوية واللّغوية على الاستشهاد بالشعر من أجل التدليل به على موضوع من الموضوعات التي كان أصحابها يريدون بها غرض الاستشهاد، وخاصة ما وقع من تنافسٍ بين مدرستي البصرة والكوفة، وما حوته كتب أصحابها من أشعارٍ من مثل " الكتاب " لسيبويه، والذي ذكر في شأنه أبو عمر الجرميُّ قوله: " نظرتُ في كتاب سيبويه فإذا فيه ألفٌ وخمسون بيتا، فأمّا الألفُ فعرفت أسماء قائليها، وأمّا الخمسون فلم أعرف قائليها "(الأسد،1969،ص: 592)..

وكذلك كتابَي "إصلاح المنطق " و"تهذيب الألفاظ" لابن السّكّيت، حيث حشا مؤلّفُهما الكثيرَ من الشعر، وقُلِ الكلامَ نفسَه في كتب النّحو واللّغة الأخرى.

وأما كتب السيرة والتاريخ ففي سيرة ابن إسحاق الحجّةُ الواضحة على اهتمام مؤلّفها بالشعر الذي استشهد به في الأخبار التي ذكرها.

وكذلك الشيءُ نفسه حين تقرأ كتب الأدب من مثل كتابَي "البيان والتبيين" و"الحيوان" للجاحظ فإنك واجدٌ فيها نُتَفا كثيرةً من أشعار العرب. قال الجاحظ في مقدمة جزئه الثالث من البيان والتبيين: " هذا – أبقاك الله – الجزءُ الثالث من القول في البيان والتبيين وما شابه ذلك من غُرَر الأحاديث، وشاكَلَه من عيون الخُطَب، ومن الفِقَر المستحسنة والنُّتَف المستخرجة والمقطعات المتخيَّرة، وبعض ما يجوز في ذلك من أشعار المذاكرة والجوابات المنتَخَبة"(الجاحظ،د.ت،(3 مج) ص: 05).

غير أن هذه الآثار التي عُنِيَت بالشعر وتدوينه لم تكن كلّها خالصةً في الدّقة والتّحري، بل شابَ بعضَها شكٌّ...،وما أثاره ابن سلاّم الجُمحيُّ حول شعر السيرة لابن إسحاق متَّهما إيّاه بإفساد الشّعر وتهجينه وحمْلِ كلِّ غُثاء منه، ممّا أدّى إلى ظهور قضية لها خطرُها في تاريخ الأدب العربي القديم ألا وهي قضية الانتحال، والتي لم تسلم منها أمّة من الأمم، والتي تأتي نتيجة طبيعية حين تكون النّصوص الرّاقية عرضةً للنقل الشفوي، مما تثير حولها القيلَ والقال والظّنَّ والطّعنَ والوضع والتّزيُّد.

3.قضيّة الانتحال في الشعر العربي القديم:

لم يسلم أدبٌ من الآداب العالمية من الشّك الذي يخامر موضوعاته ونصوصه الأدبية، ذلك أن النّفسَ البشرية تتمايز فيما بينها وتختلف اختلافا بين الصدق والكذب، وبين التثبّت والتّدقيق واللامبالاة في ذلك، بل إنّ الذاكرة تختلف ضَعفاً وقوةً في الحفظ،كما أنّ هذه الآداب لم تعرف الوضع والنحل في بداياتها حين تكون الروايةُ الشفوية هي السبيلَ الوحيدَ في نقل الآثار وما ينجرّ عنها من زيادات وإضافات وحذف إلى المتن الواحد نفسه، بل إنّ الوضع و النحل لا يزال إلى يومنا هذا رغم ظهور الطباعة وأدوات الكتابة.

وبما أن الأدب العربي ليس بِدْعاً من الآداب الأخرى، فقد بُلِيَ هو أيضا بما بلي به غير،و زاد طول روايته مشافهةً و قلّةُ تمرُّس العرب على الكتابة وتحامل بعض العرب و المستشرقين عليه بأن اتُّهِم بالاختلاق والافتعال وبالوضع والتزيد والانتحال، بل وصل إلى حدِّ إنكار

الشعر الجاهليّ برمَّته.

وإن كان هذا و الحال هذه فإنّ الوضع والنّحل لم تسلم منه الكتبُ السّماوية أيضا كالذي فُعِل بالتّوراة والإنجيل، ولولا أنّ الله تعهّد بحفظ كتابه في قوله:(**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)(سورة الحجر،09). إذاً لامْتَدَّت إليه أيدي التّحريف و التّزييف.

وأمرُ الوضع والكذب في الحديث الشريف مشهورٌ مذ أن قال عليه السلام: «من كذب عني متعمدا فليتبوّأ مقعدَه من النار»(ابن كثير،1410هـ،(2 مج) ص: 547) وقوله أيضا:«حدّثوا عنّي ولا تكذبوا عليَّ فإنه من يكذب علي يلجِ النارَ»(ابن كثير،1410هـ،(1 مج) ص: 147)، بل إنّ الوضع استفحل بعد وفاة الرسول ص حتى مكّن الله للعلماء الثّقات المحقّقين من ضبط الحديث وتنقيحه وتصحيحه وردِّ روايات المجروحين والمطعونين من نَقَلَته وتبيين كذّابيهم ووضّاعيهم .

وإذا عدنا إلى الشعر العربي القديم وجدنا أنه كان عرضةً للوضع والانتحال منذ الجاهلية، و كثيرا ما كان الشعراء يُغِيرون على بعضهم بعض يأخذون شعر الرجل منهم لفظاً أو معنى كالذي ذكره أبو عبيدة (ابن سلام،د.ت،(2 مج) ص: 733)في شأن شعراء غطفان، و أنهم ربما كانوا يُغيرون على شعر قُراد بن حنش الصاردي فيأخذونه ويدَّعونه، ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمى الذي قيل بأنه ادّعى أبياتا لقُراد في رثاء هرِم بن سِنان و هي:

إنّ الرّزِيّةَ لا رزيّةَ مِثلُـها ما تَبْتَغي غَطَفانُ يومَ أضَلَّتِ

إنّ الرِّكابَ لَتَبتَغي ذَا مِرَّةٍ بِجَنوب نَخْلٍ إذا الشّهورُ أحَلَّتِ

ولَنِعمَ حَشوُ الدِّرعِ أنتَ لنا إذا نَهَلَت من العَلَقِ الرِّماحُ وعَلَّتِ

يَنْعَونَ خَيرَ النَّاسِ عند كَرِيهَةٍ عَظُمَت مُصيبتُهم هناكَ وجَلَّتِ

و من ذلك أيضا ما رواه صاحب الأغاني عن النابغة الجعدي (ت نحو 50هـ) حين طلب منه الحسنُ والحسين أبناءُ علي (ض) أن ينشدَهما من شعره، فأنشدهما :

الحَمدُ لله لا شَـريكَ لَه مَن لم يَقُلْها فَنَفسَه ظلَـما

فقالا: يا أبا ليلى ما كنّا نروي هذا الشعر إلاّ لأميةَ بن أبي الصّلت (ت نحو سنة 5هـ) فقال: يا بَني رسول الله ص إني لَصاحبُ هذا الشعر وأولُ مَن قاله وإنّ السّروقّ لمن سَرق شعرَ أميّة"(الأصفهاني ،1992،(5 مج) ص: 14).

و قيل إنّ الفرزدق وكُثَيِّرا سرقا بيتين لجميل بن معمر، أما الفرزدقُ فقد سرق قولَه:

ترى النّاسَ ما سِرْنا يسيرُون خَلْفَنَا وإنْ نحنُ أَوْمَأْنا إلى النَّاسِ وقَّفُوا

و أما كثيّر فقد سرق منه:

أريدُ لِأَنسَى ذِكرَها فَكَأنَّـما تَمَثَّلُ لي لَيلَى بِكُلِّ سَبـيلِ

وقلّما يزيد شاعرٌ بيتا ليس له من باب الاستزادة في الشعر والتّمثّل لا يريدون به السرقة، و من ذلك ما ذكره ابنُ سلاّم حين سأل يونُسَ عن بيتٍ رَوَوه للزّبرقان بن بدر وهو:

تعدُو الذِّئابُ على مَن لا كِلابَ له وتتّقي مَرْبَضَ المُسْتَنْفِر الحامي

فقال:" هو للنابغة، أظنّ الزبرقان استزاده في شعره كالمثل حين جاء موضعُه لا مُجتَلباً له، وقد تفعل العرب لا يريدون به السرقةَ ".(السيوطي،(د.ت)،(1 مج) ص: 144).

لقد أشار العلماء الرواة من الرّعيل الأول في القرنين الثاني والثالث إلى الوضع والنحل في الشعر العربي القديم، ودَلُّوا عليه في كلامهم وكتبهم، وبيّنوا الأشعارَ المنحولة والموضوعة والمصنوعة وهي كثيرة نحاول إعطاءَ أمثلةٍ منها.

من هؤلاء الرواة العلماء أبو عمرو بن العلاء الذي نصّ على أنّ ضاديّةَ ذي الأصبع العدواني منحولةٌ، وأنّه لا يصحّ منها إلا الأبيات

الثلاثة الأولى(الأصفهاني،1992،(3 مج) ص: 93). وهي:

وليسَ المرءُ في شَــيءٍ مِنَ الإبـرامِ والنَّقْـضِ

إذا أَبْـرم أمـراً خا لَهُ يقْضي وما يقـضِي

يَقولُ اليَومَ أمْضِـيهِ ولا يمْـلِكُ ما يمْـضِي

و في خبر آخر عن أبي عبيدةَ أنّ بشارَ بنَ بردٍ أُنشِد قولَ الأعشى:

وأنْكَرَتِني ومَا كان الذي نَكِرَتْ مِنَ الحَوادِثِ إلاّ الشَّيبَ والصَّلَعَا

فأنكره، وقال بأنه بيتٌ مصنوع لا يشبه كلامَ الأعشى، و تبيّن لأبي عبيدةَ بعد عشر سنين – وكان جالسا مع يونس الكاتب– أنّ الذي صنعَ هذا البيت هو أبو عمرو بنُ العلاء، قال يونس:" حدّثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيتَ وأدخله في شعر الأعشى"(الأصفهاني،1992،(3 مج) ص: 135).

و مما ورد عن الأصمعي أنه قال:" أقمت بالمدينة زمانا ما رأيت بها قصيدةً واحدة صحيحةً إلاّ مُصَحَّفَةً أو مصنوعةً"(السيوطي،(د.ت)،(2 مج) ص: 353).، وقد شكَّ في قصيدة عنترة " هل غادر الشعراء من متردّم" ودفعها أن تكون له، ورأى أنّ أوّل القصيدة هي :" يا دار عبلة بالجواء تكلّمي"(الأصفهاني،1992،(9 مج) ص: 255).

أما أبو عبيدة فقد شكَّ في قصيدة مالك بن الرَّيب قالها يرثي بها نفسه وهي التي يقول فيها:

أيَا صَاحِبَيْ رَحْلِي دنَا الموتُ فانْزِلا بِرَابِيةٍ إنّي مقيمٌ لَيالِيا

و قال:" الذي قاله ثلاثة عشر بيتا والباقي منحولٌ ولَّدَه النّاس عليه" (الأصفهاني،1992،(22 مج) ص: 303).

كما أنشده أبو عمرو قصيدةً للحارث بن حلزّة ينكر فيها الطِّيرة أولها:

يا أيُّها المُزْمِعُ ثُمَّ انْثَنى لا يُثْنِكَ الحازِي ولا الشَّاحِجُ

فقال في شأنها:" أنشدَنِيها أبو عمرو وليست إلا هذه الأبيات (سبعة أبيات) و الباقي مصنوع".(الجاحظ،د.ت،(3 مج) ص: 303).

و لقد أشار عددٌ من العلماء في مصنّفاتهم إلى الانتحال والشّك في نسبة القصائد والأبيات إلى قائليها كالذي نجده في كتاب الحيوان للجاحظ والشعر والشعراء لابن قتيبة وكتاب المعَمَّرين من العرب لأبي حاتم السجستاني، وإنَّ مَن يتصفّح هذه الكتب وغيرَها يجدْ مادّةً جمَّة حول هذا الموضوع، ولكنّنا اقتصرنا على الرعيل الأوّل من العلماء الرّواة وفرسانها الذين حازوا قَصَبَ السَّبق فيها.

غير أننا لابدّ أن نشير إلى عَلَمَين في هذا المضمار، نخصّص لها جزءا هاما في هذه الدراسة، والتي تتعلق بالانتحال في الشعر العربي القديم وهما ابن هشام صاحب السيرة وابن سلام صاحب طبقات فحول الشعراء وذلك لأنهما أصبحا فيما بعد ركيزتين هامّتين للعلماء المحدَثين ممن تحدثوا عن الشّك والانتحال في الشعر القديم.

4. ابن هشام ومنهجه في توثيق وتنقيح شعر السيرة:

لقد كان تأليفُ ابن اسحاق (ت 152هـ أو 153هـ) للسيرة وحشوها بكلّ ما حصل عليه من شعر دون أن يميّز الصّحيحَ من المنحول أمرا أقلق العلماء الثّقات الحريصين على نظافة التراث و صيانته من كل ما يشوب صفوَه وينقص من قدره، بل لم يكن لابن إسحاق عذرٌ في ذلك، خاصة وأن كثيرا من العلماء أشادوا بعلمه وثقافته وحفظه، قال الزهري:" لا يزال بهذه الحرّة(أي المدينة) عِلمٌ مادام بها ذاك الأحول (يريد محمد ابن إسحاق)(الذهبي،1963،(3 مج) ص: 472)، وقال أبو جعفر التفيلي:" حدثني عبد الله بن فائد قال: كنا نجلس إلى ابن إسحاق فإذا أخذ في فنٍّ من العلم ذهب المجلس في ذلك الفن" (الذهبي،1963،(3 مج) ص: 472)،

وقد جعله الذّهبيُّ ثقةً لما قد روى له عددٌ من المحدّثين كالترمذي ومسلم والبخاري وابن ماجة، وكان يقول:" لو كان لي سلطانٌ لأمَّرتُ ابنَ إسحاق على المحدّثين"(الذهبي،1963،(3 مج) ص ص: 468-469).

و لكن رغم هذه الإشادة إلا أنّه لقي طعونا في أمانته وصدقه، وقد عَقَد الخطيبُ البغداديُّ في كتابه " تاريخ بغداد" فصلا عرض فيه تفنيد المطاعن التي حمُلَت عليه (البغدادي،د.ت،(1 مج) ص ص: 215-234).

و إذا سلّمنا سلفا بأنه لم يسْلَم أحدٌ من الطّعن، وأنه قد نُفِيَت عن ابن إسحاق هذه التّهم، إلا أننا مطمئنون إلى أن الرجل كانت تُصنَع له الأشعار ويُؤتى بها إليه ويُسْأل أنْ يُدخِلها في كتابه فيفعل (ابن النديم،1978، ص: 136).و قد اعترف هو بذلك بأنه لا علمَ له بالشعر و إنما يؤتى به فيحمله.(ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 07).

من هذا المنطلق، عكف ابن هشام على تصنيف مؤلَّفه في السيرة لتنقية واختصار ما جاء في سيرة ابن إسحاق، ونفهم ذلك من مقدمة الكتاب، يقول:" وتاركٌ بعضَ ما ذكره ابنُ إسحاق في هذا الكتاب ممّا ليس لرسول الله ص فيه ذكرٌ، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سببا لشيءٍ من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار، وأشعارا ذَكَرها لم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياءً بعضها يَشْنُع الحديث به وبعضٌ يسوء بعضَ النّاس ذكرُه وبعض لم يُقِرَّ لنا البكّائيُّ بروايته ومستقصٍ، إن شاء الله تعالى، ما سوى ذلك منه بمبْلَغ الرواية له و العلم به" (ابن هشام،1411هـ،(1 مج) ص: 109).

المنحولة التي لم يعرفها العلماء بالشعر وكذا الأشعارَ الرّكيكة الرديئة التي وجد فيها عيوبا شعريّة، كما حذف الأشعارَ المقذِعة التي ذكر فيها النبي ص وصحابتُه ذكرًا يسيءُ بمقامهم الرفيع، وحذف أشعارا أخرى غايته من وراء هذا الحذف الاختصارَ ليس إلا.

و لمّا كان حديثنا عن الانتحال فإننا سوف نقتصر على آراء ابن هشام حول الأشعار المنحولة و المشكوك في صحتها التي شوّهت سيرة ابن إسحاق.

1.4. حذف الأشعار المنحولة:

لقد كان واضحا مما ذكره ابن هشام في مقدمة سيرته أنه ترك الأشعار التي ساقها ابن إسحاق مما لم يعرفه أهل العلم بالشعر، ومن ذلك أنه اكتفى ببيتٍ واحد لخالد بن عبد العُزَّى، وهو:

حَنِقا على سبْطَينِ حلاَّ يثْرِبا أولى لهم بِعقَابِ يومٍ مَفسَدِ

و قد قال معقِّبا على ذلك:" الشعر الذي في هذا البيت مصنوع، فذلك الذي منعنا من إثباته" (ابن هشام،1411هـ،(1 مج) ص: 136).

و نراه يأخذ عن ابن إسحاق لامية أبي طالب المشهورة في دفاعه عن النبي ص ومدحِه واستعطاف قريش والتي منها البيت المشهور:

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبيعُ اليتَامى عِصْمَةٌ لِلأرامِلِ

ولكنه يثبت منها أربعة وتسعين بيتا ثم يقول:" هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر يُنكِر أكثرها"(ابن هشام،1411هـ،(2 مج) ص: 116).

وقد يحذف ابن هشام أبياتا من القصيدة بعدما يَثبُت له أنها ليست للشاعر المنسوبة إليه، ومن ذلك ما فعله بقصيدةٍ نسَبها ابن إسحاق إلى أبي الصِّلتِ الثَّقفيّ، فعلّق عليها بقوله:"وتُروَى لأميّةَ بن أبي الصّلت" ثم قال بعد أن أتى على ذكرها:" هذا ما صحَّ لي ممّا روى ابن إسحاق منها إلا آخرها بيتا قوله:

تلكَ المكَارِمُ لا قَعْبَانِ مِن لَبَنٍ شِيبا بماءٍ فَعَادا بَعْدُ أبْوالا

فإنه للنّابغة الجعدي" (ابن هشام،1411هـ،(1 مج) ص: 188).

إلا أن صاحبَ الأغاني وبعد أن يذكر البيتين ينسبهما لأميّة بن أبي الصّلت ثم يقول:" وقيل بل هو للنّابغة الجعدي، وهذا خطأ

من قائله، وإنما أدخل النابغةُ البيتَ الثاني من هذه الأبيات في قصيدةٍ له على جهة التّضمين"(الأصفهاني،1992،(17 مج) ص: 302).

وليس يهمنا بعد هذا الذي ذكرنا إلا أنّ ابن هشام كان حريصا على نسبة الأبيات إلى قائلها فيما أتيح له من البحث والتقصي وسؤال أهل العلم بالشعر.

2.4. التنبيه على الأشعار المشكوك في صحتها :

لقد بذل ابن هشام جَهدا لا نَسِمه إلا بأنه جهدُ العالم المحقِّق ذي النظرة الثاقبة المتبصَّرة، فهو مع حذفه للأبيات التي وجد- بعد التحري- أنها لا تحمل وجها من وجوه الصّحة نراه يدلِّل على بعض الأشعار والقصائد المشكوك في صحتها إمّا بقوله:" وأكثر أهلِ العلم ينكرها" .

و هاتان الجملتان وما شابههما لَدليلٌ واضح على أنّ الرجل بحّاثةٌ، يسأل أهل العلم ويلجأ إليهم، لا يريد بذلك إلا أن يكون صادقا قدرَ المستطاع ومحققا قدر الممكن، ومن يطَّلع على السيرة فسوف يلاحظ هذا دون شكّ.

و ممن شكّ في نسبة بعض الأشعار والأبيات والقصائد إليهم نذكر سيفَ بن ذي يَزَن وأبا طالبوأبا بكر الصديقَّ وعبدَ الله بنَ الزّبعري وسعدَ بن أبي وقاص وحمزةَ وأبا جهلٍ ومالكاً بنَ الدّخشم ومكرزا وعبيدةَ بن الحارث ، وضرارا بنَ الخطّاب والحارثَ بن هشام وهندا بنتَ عتبةوحسّان بن ثابتوميمونة بنت عبد اللهوعليًّا بنَ أبي طالبوعمروا بن العاص وخبيب بن عديّ ومسافع بن عبد مناف وفتى من بني جذيمة والزبرقان بن بدر وهند بنت أثاثة.

3.4.التحقيق وإضافة الأشعار ونقدها:

لم يكتف ابن هشام في سيرته بحذف الأشعار المنحولة والتنبيه على الأشعار المشكوك في صحتها فحسب، بل نراه يأخذ بُعدا آخر من التّحقيق والتّمحيص والإضافات إلى النّص من طرق أخرى، فهو مع ذكره- مثلا- لقصيدة كعب بن زهير المشهورة التي أوردها ابن إسحاق في سيرته والتي مطلعها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليومَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ

نراه يجري بعض التّعديلات والإضافات بعد الانتهاء من ذكرها من مثل:" و بيته:" حرفٌ أخوها أبوها..." وبيته:" يمشي القراد..." وبيته:" عَيرانَة قُذِفَت..." وبيته:" ولا يزال بواديه..." عن غير ابن إسحاق"(ابن هشام،1411هـ،(5 مج) ص: 135).

وقد دلّت جملةُ " عن غير ابن إسحاق" أنها لم تَرِد في سيرته، كما أنّنا لم نعثر على هذه الأبيات في الكتاب.

وكان ابن هشام يعتمد على العلماء من أهل الشعر في توثيق الأشعار التي ذكرها ابن إسحاق ومن هؤلاء العلماء نذكر خَلَفاً الأحمرَ وأبا عُبيْدة وأبا زيدٍ الأنصاريَّ.ومن ذلك قوله:" أنشدَني أبو عبيدة: أرجو فواضلَه (ابن هشام،1411هـ،(5 مج) ص: 280). وحُسْنَ ثنائها" بَدَل أرجو فواضلها وحسن ثرائها.وقوله:" هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ليست بصحيحةِ البناء، لكن أنشدني أبو محرز خلفٌ الأحمر وغيره..."(ابن هشام،1411هـ،(3 مج) ص: 300).

وقد يصبح ابن هشام في بعض المرّات ناقدا، فيعطي رأيه في الأبيات أو القصيدة كما هو الحال في القول السابق حين رأى أن هذه الرواية للشعر مختلطةٌ وليست بصحيحة ونراه يعلّق على ما ارتجز به المسلمون في بنائهم لمسجد المدينة:

لا عَيشَ إلاّ عيشَ الآخِرهْ اللّهمَّ ارحَمِ الأنصارَ والمُهاجِرهْ

بقوله:" هذا كلامٌ وليس برجز" (ابن هشام،1411هـ،(3 مج) ص: 25).

من خلال ما عرضنا له من هذه الأمثلة والشواهد القليلة يتوضح لنا أنّ ابن هشام كان عالما مُلِمًّا بآداب العرب وأشعارهم، مُتذوقا إلى درجة رفيعة كأقرانه الذين بَنَوا على عواتقهم مجدَ وتراث هذه الأمة، من أجل أن يوصلوا إلينا هذا التراث صحيحا غيرَ زائف،

صادقا غير كاذب، نقيًّا غير مشوب بالنقائص التي تشينه، وحسبُ الرّجل أنه اجتهد في عمله، وناهيك عن هذا الاجتهاد دلالةً على حسن السّريرة وصفاء الذهن وذكاء العقل وطهارة القلب.

5.ابن سلام و آراؤه حول قضية الانتحال:

لقد يُعدُّ ابن سلاّم الجمحيُّ أولَّ من تحدث في قضية الانتحال في الشعر العربي القديم، وحدد أسبابه ودوافعه وأعطى الأمثلة والأدلة والبراهين لإثبات آرائه، مما جعل كثيرا من الدارسين من العرب و المستشرقين يَلِجون هذا الباب ويفتحونه على مصراعيه من أجل إعادة دراسته ونفض التراب عنه، مخلصين كانوا في دعواهم أو متحاملين متعصبين.

عاش ابن سلام في القرنين الثاني والثالث للهجرة مما جعله يُفِيد من كثيرٍ من العلماء والرواة المشهورين من أصحاب جيله كأبي عبيدة وخلف الأحمر وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وغيرهم، كما أخذ عنه الرّياشيُّ والزياديُّ والمازني وغيرهم من العلماء، وروى عنه الإمامُ أحمد بن حنبل وأبو العباس ثعلب وأحمد بن علي الأبّارُ(الذهبي،1963،(3 مج) ص: 567).

ألّف ابن سلام كتابه المشهور" طبقات فحول الشعراء" وضمَّنه فكرةَ انتحال الشعر ووضعه وأنّ منه الموضوع الذي لا خير فيه، وقال في مقدمة كتابه:" و في الشعر مصنوعٌ مُفتَعلٌ موضوعٌ كثير لا خير فيه ولا حجَّةَ في عربيّته ولا أدبَ يُستفاد ولا معنى يُستخرَج ولا مثلَ يُضرَب ولا مديحَ رائع ولا هجاءَ مُقذِع ولا فخرَ مُعجِب ولا نَسِيبَ مُستطرَف، وقد تداوله قومٌ من كتابٍ إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء. وليس لأحدٍ، إذا أجمع أهلُ العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه، أن يُقبل من صحيفةٍ، ولا يُروى عن صِحَفيٍّ"(ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 04).

في هذه القطعة يبيّن ابن سلام أنّ كثيرا من الشعر موضوعٌ منتحل، ثم يأتي إلى أمارات الانتحال فيه، معطيا لنا استنتاجا نخلص إليه مفاده أنّ الشعر الصحيح- في نظره- هو الشعرُ الذي فيه الخيرُ كلُّه وحجّته في العربية واضحة، وفيه أدبٌ يستفاد ومعنى يستخرج ومثلٌ يُضرب ومدحٌ رائع وهجاءٌ مقذع وفخرٌ معجب ونسيبٌ مستطرف، لم يُتداوَل من كتاب إلى كتاب و إنما أُخِذ عن أهل البادية وعُرِض على العلماء، ولا يؤخذ من صحيفة ولا يروى عن صحفي.

لقد يظهر من مقدمة ابن سلام هذه أنّ كلامه هذا إنما هو صادرٌ عن اقتناعٍ وفهمٍ وممارسةٍ ودراية، وأنه قد اعتمد" أسلوبا استفزازيا جريئا لا صلة له في الغالب بالمروِيّ أو النّقلي قدر ما هو وثيق الصّلة بكل ما هو عقلي استنباطي جدلي"(ميمون، مسلك،2001،التأصيل الإجرائي لمفهوم الشعر عند ابن سلام – دراسة- مجلة عالم الفكر(30 مج) عدد: 01).، وهو بهذه المقدمة يعطي مفهومه ونظرته إلى الشعر وتعريفه، وإلى موضوعاته ومدى صحّته وشدّة أسره.

أرجع ابن سلام الانتحال في الشعر العربي القديم إلى عاملين رئيسيين هما العصبيّةُ القبَليّة والرواة الوضّاعين، يقول:" فلما راجعت العربُ روايةَ الشعر وذِكرَ أيامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قومٌ قَلَّت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحَقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم، ثم كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار" (ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 46).

ابن سلام في قوله هذا يذكر أن الشعر القديم دخله كثيرٌ من الوضع وذلك أن القبائل زادت فيه على ألسن شعرائها وقَوّلتهم ما لم يقولوا، وذلك رَفعا لعصبيّتهم وتفاخرهم فيما بينهم، ثم جاء الرواة الوضاعون فزادوا في الأشعار ونحلوها من لم يقلها أصلا.

وهو في كتابه هذا يعرض لنا بالشاهد والدّليل على ما ذكر، ومنه أن قريشا أضافت إلى شعرائها كثيرا مما ليس منهم، فقد أضافت إلى حسان بن ثابت شعرا:" وحُمِل عليه ما لم يُحمَل على أحد، لما تعاظمت قريش واستبّت وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تُنَقّى" (ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 215).وطوّلوا في قصيدة أبي طالب بن عبد المطّلب في مدح الرسول ص حتى لم يعودوا يعرفون أين منتهاها (ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 244).

وهو يذكر أيضا أنّ عَدِيّ بنَ زيد كان يسكن الحيرة وأنّ لسانَه قد سَهُل منطِقُه لِتَحَضُّره " فحُمِل عليه شيءٌ كثير وتخليصُه شديد، و اضطرب فيه خلف الأحمر، وخلط فيه المفضّل فأكثر"(ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 140).

وقُلِ الشيء نفسَه حين عرض في الحديث عن طرفة وعبيد و ذكر أنهما نُحِلا من القول ما لم يقولاه، وحُمِل عليهما حملٌ كثير لأنهما كانا أقدمَ الفحول عصرا، وشعرهما بين أيدي النّاس قليل(ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 26).

ولاحظ ابن سلام إلى أبناء الشعراء وتزيّدهم في أشعار آبائهم كالذي ذكرناه سابقا حين قدِم أبو عبيدة إلى داود بن متمِّم بن نُوَيرة وسأله عن شعر أبيه فأنشده منه، فلما نفذ أخذ يزيد في الأشعار ويضعها، وإذا هو كلامٌ دون كلامِ مُتمم، فعلم أنه ينتحله (ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص ص: 48-49).

ولم يكن هذا الشعر المصنوع بخافٍ على العلماء المحقّقين، بل إنهم رفضوا جملةً منه وعملوا على تحقيقه وتخليصه مما يشوبه من كذبٍ وزيف، ولذلك أقرّ ابن سلام بأنه " وليس يَشْكُل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولَّدون، وإنما عَضُل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم، فيشكل ذلك بعض الإشكال"(ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص ص: 46-47).

إذن لقد كان العلماء الرواة المحققون يستطيعون أن يميّزوا الصحيحَ من المصنوع، والأصيلَ من المقلَّد، خاصة وإنْ كان الوضّاع قليلَ الخبرة والدُّربة في صناعة الشعر، ولكن قد يعسُر التحقيق حين يكون الوضع من الرواة الوضّاعين أنفسهم، أو من الأعراب الضّاربين في الصحراء مِمَّن يسهل عليهم قرظ الشعر، حتى إنّ الخليل بن أحمد الفراهيديَّ أحسَّ بهذا منذ زمن بعيد حين قال: " إنّ النّحاريرَ ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادةَ اللّبس والتعنيت"(السيوطي ،د.ت،(1 مج) ص: 135).

وإن كان كلام الخليل مقتصرا على الوضع في اللغة مما ليس من "كلام العرب" فإننا نستنتج من وراء ذلك أن النّحارير من علماء الشعر الوضاعين ربما أدخلوا على الناس ما ليس من الشعر الصحيح.

ولقد نبّه ابن سلام على الرواة الوضّاعين الكذّابين الذين يزيدون في الأشعار من مثل حماد الراوية حيث رفض ما رواه وحذّر منه،وقال:" كان أولَ من جمع أشعار العرب وساق أحاديثَها حمادُ الراوية وكان غيرَ موثوقٍ به، وكان يَنْحَل شعرَ الرجل غيرَه ويُنحله غيرَ شعره، ويزيد في الأشعار " (ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 48).

و قريب من هذا ما ذكره المفضل الضبي عن حماد الراوية حيث كان كثير الطّعن عليه[1].قال المفضل الضبي :" قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسدَه فلا يصلح أبدا. فقيل له: كيف ذلك؟ أيخطئ في روايته أم يَلْحَن؟ قال: ليته كان كذلك... ولكنه عالمٌ بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعرَ يُشبه به مذهبَ رجل ويدخله في شعره ويُحمَل ذلك عنه في

---

(1)إن المتتبع لآراء القدماء في موضوع الانتحال لَيرى جانبا كبيرا من الطعن في الرواة ثقاتٍ كانوا أو وضّاعين، ويرى أيضا كثيرا من الدسائس والأخبار التي يرمون بها بغرض التشويه والنقص والحطّ من راوٍ بعينه، ولكننا مطمئنون إلى أن نسبةً كبيرة من هذه الطعون إنما تعود إلى المنافسة والخصومة بين الرواة في مدرستي البصرة والكوفة، وإلى مصادرِ كلِّ فريقٍ مع اختلاف المنهج، ففي حين يتوسع الكوفيون في الرواية والأخذ بالشاذ في اللغة نرى البصريين يضيّقون من ذلك، وحريٌّ إلى من يطّلع إلى كتب القدامى أن يتبين مدى هذه الخصومات ففي حين يشتهر رواية وضّاع مُتَّهمٌ بالكذب في الكوفة وهو حمّاد الراوية، نجد وبالنقيض شيخا من شيوخ الرواية ورأسا من رؤوس البصرة يُتَّهم بالتهمة نفسِها وهو خلف الأحمر الذي

قيل إنه وضع لامية العرب على الشنفرى، والحق أنه لا يجب أن نأخذ بكل ما يقوله الرواة بعضهم عن بعض بدافع الحسد أو الغيرة، وأن نقول أيضا بقول منصفيهم بأن" المعاصرَة حِجاب"

الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميّز الصّحيح منها إلاّ عند عالمٍ ناقد وأين ذلكا!؟ (الأصفهاني،1992،(6 مج) ص: 99).

ومن خلال تعجّب المفضل الأخير يتبين لنا مدى صعوبة تحقيق الشعر وتبيين منحوله، خاصة وإن كان من تلفيق رواة محترفين كحماد الرواية وغيره من فحول الرواية في مدرستي البصرة و الكوفة.

وإن كان خطر هؤلاء الرواة الوضاعين في الشعر كبيرا. فإنّ ابن سلام نبّه عن خطر آخر لا يقلّ أهمية عن الأول، وهو خطر القصّاصين ورواة السّيَر والمغازي، ذلك أنهم يحملون الشعر الموضوع عن غفلة وقلّة دراية وتثبّت، وأشار إلى ابن إسحاق صاحب السيرة، فذكر بأنه أفسد الشعر وهجّنه وحمل كلّ غُثاء منه وأورد أشعار النساء والرجال القدامى من عهد عاد وثمود والعماليق دون الرجوع إلى العلماء، وكان يعتذر من هذه الأشعار التي تُحمل إليه، ويُسأل أن يُدخلها في سيرته فيفعل بقوله: لا علمَ لي بالشعر أوتَى به فأحمله، ويُعقِّب ابن سلام عليه بقوله:" ولم يكن ذلك له عذرا" (ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 07).

ونجده يقول في معرض حديثه عن شعر أبي سفيان بن الحارث الذي قاله في الجاهلية:" فسقط (أي شعره) ولم يصل إلينا منه إلاّ القليل، ولسنا نَعُدُّ ما يروي ابن إسحاق له و لا لغيره شعرا، ولَأنْ لا يكون لهم شعرٌ أحسن من أنْ يكون ذاك لهم"(ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 277).

ومع يقين ابن سلام في أن كثيرا من الشعر موضوع منحول لا صحّة له، إلا أنه يطمئن إلى الأشعار التي حقّقها أهلُ العلم والدراية في الرواية، وأننا لابدّ أن نثق بهؤلاء العلماء الرواة الثقات لنقبل الذي قبلوه ونرفض ما رفضوه.قال:"وقد اختلف العلماء بعدُ في بعض الشعر كما اختلفت في بعض الأشياء، فأمّا ما اتّفقوا عليه فليس لأحد أنْ يخرج عنه"(ابن سلام،د.ت،(1 مج) ص: 07).

والرجل محقٌّ في ما ذهب إليه، ذلك أن هؤلاء العلماء الثقات كانوا قريبي عهدٍ بزمن إنتاج هذا الشعر وهم الذين قاموا بروايته وجمعه وتدوينه، وكانوا على صلة بالجاهلين أو بالذين عرفوا الجاهليين وكانت تجمعهم صلة بهم.

6.خاتمة

مع تطوّر التدوين واختلاف ضروب العلم ومناهج التفكير عند العرب والمسلمين كان لا بدّ للعقلية العربية أن تساير الحضارات، وأن تُدفَع عن طريق الملاحظة والحتمية التاريخية إلى أن تجعل لنفسها علوما تطمئنّ إليها لدراسة لغتها، وكل ما يتعلق بها من أجل خدمة الدين في بداية الطريق إلى الحاجة في المعرفة واستغلال ذلك كلِّه في تطوير الحياة وضروب المعيشة التي كانت تتطلب نوعا من العلوم متّصلةً بالدين حينا أو بعيدة عنه بعدا يقرب أو يبعد.

وتطور عقلية العرب كان لابد أن يُصاحبها ثورة في العقل، فلم يكن هؤلاء العلماء والمشتغلون في علوم الشعر ليقبلوا هذه الروايات التي كانت تنسب الشعر لقائليه دون تمحيص ولا تدقيق، وعرفوا من جهات متعددة وأسباب كثيرة ذاك الانتحال في الشعر القديم الذي جاء نتيجة للكذب او التزيّد في المفاخر أو الانتقاص من القيمة أو النسيان والسّهو والغلط الذي يُصاحب الرواية الشفوية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الأسد، ناصر الدين،(1969)**مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**،مصر، دار المعارف.
- الأصفهاني، علي،(1992)**الأغاني**، شرح سمير جابر، بيروت،دار الكتب العلمية.
- بلاشير،رجيس،(1986)، **تاريخ الأدب العربي**، ترج: إبراهيم الكيلاني، تونس، الدار التونسية للنشر، الجزائر، م.و.ك.
- الجاحظ،عمرو بن بحر، (د.ت)،**البيان والتبيين**،تح وشرح: عبد السلام هارون، لبنان، دار الفكر .
- الحموي، ياقوت، (د.ت) ، **معجم البلدان**، لبنان، دار الفكر.

- الخطيب البغدادي، أبوبكر،(د ت)، **تاريخ بغداد**،بيروت، دار الكتب العلمية.
- الذهبي، شمس الدين، (1963)**ميزان الاعتدال**، مصر، دار الحلبي.
- ابن سلامالجمحي، محمد،(د.ت)،**طبقات فحول الشعراء**، تح محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني.
- السيوطي، جلال الدين،(د.ت)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ضيف، شوقي.(1995)، **العصرالجاهلي**، مصر، دار المعارف.
- ابن كثير، إسماعيل، (1410هـ)**تفسير ابن كثير**،بيروت، دار الفكر.
- .ابن النديم، محمد،(1978)**الفهرست**،بيروت، دارالمعرفة.
- **المجلات:**

مسلك، ميمون،(2001)، **التأصيل الإجرائي لمفهوم الشعر عند ابن سلام – دراسة–**، الكويت ، عالم الفكر، العدد (1) المجلد 30